

بنية العنوان في شعر محمود درويش دراسة سيميائية

أ.م.د. عبد الستار عبد الله صالح السيد جاسم محمد جاسم
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/٣/١٤ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٨/٥/١٢

ملخص البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى استقراء العنوان في شعر محمود درويش وتوصيفه بنائياً ووظيفياً مبرزة بعد ذلك دور النص في الكشف عن دلالة العنوان بما يوحي بأن البنية التركيبية للعنوان هي النتيجة النهائية لتعاقد دلالة النص العامة مع فلسفة المرسل في الاختيار والتركيب .

The Structure of the Titel in Mahmood Darweesh Poetry A Semiotic Study

Dr. Abdul Satar Abdullah Salih Jasem Mohammed Jasim
University of Mosul/ College of Education

Abstract:

This study aims at investigating (the topic) in Mahmood darweeshs poetry . it describes topic functionally and structurally in order to show after that the importance of the text to uncover the meaning of the topic . this implies that the structural construction of the topic is the final result of coherence between the semanticity of the text and the philosophy of the writer in having a freedom of selection and construction.

المقدمة

تبنى المناهج النصية بما فيها المنهج السيميائي في تحليلها للظاهرة اللغوية التركيز على بنية هذه الظاهرة انطلاقاً من اعتبارها بنية قائمة بذاتها يجب أن تخضع في تحليلها لقانون العلاقات الداخلية^(١) . وذلك يعني أن تبني تلك المناهج لمفهوم البنية يلزم الدارس اعتبار الظاهرة اللغوية نسقاً مستقلاً عن كل العوامل والمؤثرات الخارجية على أساس أن المادة المدروسة تمتلك صفة (الضبط الذاتي)^(٢) بتعبير (بياجية) " أي ان البنية تسير نفسها بنفسها وفق القوانين الداخلية والتي هي العلاقات بنوعها : التركيبية والاستبدالية^(٣) . ونظراً لما لمصطلح (البنية) من غموض^(٤) يتطلب تحديداً دقيقاً لهذا المصطلح يتوافق وطبيعة المادة المدروسة لذا فإن البحث سيشرح بتبني ما يرى أنه أقرب التعريفات إلى طبيعة العنوان .

يشير الحد اللغوي للبنية إلى أنها " البناء ، أو الطريقة التي يقوم بها مبنى ما وتطلق اصطلاحاً على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي العناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة"^(٥) ، ويعرفها (لاند) في المعجم الفلسفي بأنها " كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ، ولا يمكن أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه " ^(٦) ، أما (كمال أبو ديب) فيذهب إلى انها : أي البنية " وجود دال ، انها الحامل النهائي للدلالة " ^(٧) ويضيف : " ان عملية التحليل البنوي تطمح إلى اكتشاف قواعد التركيب وآلية المعنى - تشكل المعنى - في النص ... ويتضمن هذا المنظور اعتباره من جهة وجوداً فردياً ذا رؤية مكتملة تتجسد في بنية مكتملة ومن جهة ثانية بنية تُنتج ضمن الثقافة استناداً إلى نظام كلي ذي مكونات دالة سيميائياً"^(٨).

إن لغة العنوان وكما تبدو في ظاهرها مبنية - إبداعياً - على انتقاء حر غير مقيد بشكل أو تركيب أو قاعدة نحوية تفرض عليه التقول بشكل محدد ، وبالتالي فإن جميع الإمكانيات التي

(١) نظرية البنائية في النقد الأدبي : ١٩٧ . وينظر : ما جاء في نقد باختين للنقد البنوي : نقد النقد ،

تودوروف ، ترجمة : سامي سويدان : ١٣٢ .

(٢) ينظر : نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي ، مصطفى غلفان ، مجلة عالم

الفكر ، ٦٤ ، ١٩٩٤ : ٨٣ .

(٣) م . ن : ٨٣ .

(٤) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : ١٧٧ .

(٥) في النقد الأدبي - منطلقات وتطبيقات : فائق مصطفى وعبد الرضا علي : ٨٢ ، ٨٣ ؛ و ينظر : المذاهب

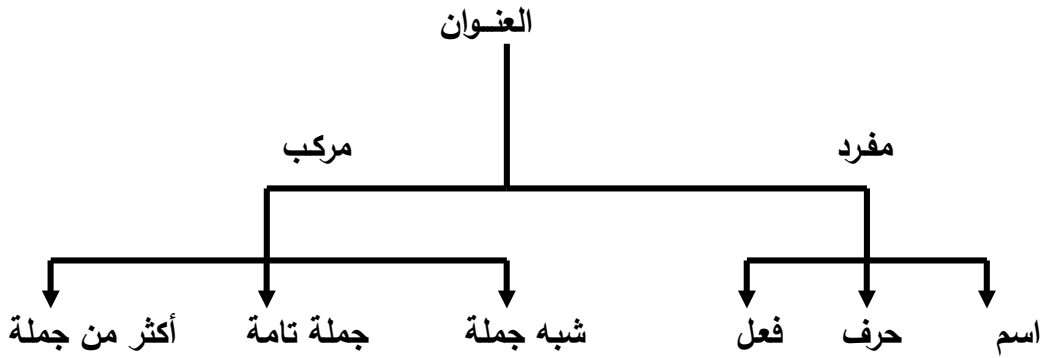
الأدبية - دراسة وتطبيق ، عمر الطالب : ٢٠٥ .

(٦) المذاهب النقدية - دراسة وتطبيق : ٧ .

(٧) البنى المولدة في الشعر الجاهلي : كمال أبو ديب : ٥ .

(٨) البنى المولدة في الشعر الجاهلي : كمال أبو ديب : ٥ .

تقدمها اللغة قابلة للانباء كعنوان دون قيود ، لذا فقد يبني العنوان على هيئة حرف أو كلمة أو حتى علامة غير لسانية ، وقد يكون شبه جملة أو جملة تامة وقد يكون أكثر من جملة^(١) ، وذلك يعني أن " لا شيء يحصر طول العنوان من الناحية النظرية " ^(٢) ، كونه يقبل أن يتشكل ك (قول تام) أو (قول ناقص) بالمعنى المنطقي للقولين " ^(٣) ، إلا أنه يمكن حصر العنوان على مستوى الشكل بالتشجيرة الآتية :



إن كون لغة العنوان مبنية على انتقاء وتركيب حرين لا يحددان المرسل بشكل محدد في صياغته ، بما ينتج عنه صلاحية كافة الاحتمالات الواردة في التشجيرة أعلاه للانباء كعنوان لا يعني أن عملية العنوانه تمتاز بحرية مطلقة في الصياغة ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار الجانب الدلالي للعنوان في ضوء نصه ، ذلك أن حرية الاختيار والتركيب في الصياغة العنوانية مقيدة من الناحية الدلالية ، بدلالة النص العامة^(٤) ، إذ يراد للعنوان على الرغم من قيامه على حرية اختيار الدوال وتركيبها أن يراعي دلالة ما يعنونه بما يتيح إمكانية قيام علاقة بين العنوان والنص وذلك يعني أن العنوان كبنية لا بد له من مراعاة دلالة النص المعنون خاصة وأنه - أي العنوان - يراد له ان يؤلف على مستوى التعبير مقطوعاً لغوياً يعلو النص تتحكم به قواعد سيميائية تعمل على بلورة موضوعته. وتحديد رؤيتها وترميز دلالتها في مفردة أو عبارة ذات أجزاء (ألفاظ مفردة) تتعاقب لأداء وظيفة تأسيس أو وجهة نظر من التركيب العام للنص " ^(٥) وذلك يعني أن للنص دوراً فاعلاً في توجيه صياغة العنوان وتشكله انطلاقاً من أن ثمة توازياً

(١) ينظر : شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفاريق : محمد الهادي المطوي ، عالم الفكر ، مج ٢٨ ، ع ١ ، ١٩٩٩ : ٤٥٨ . ويقارن بما ذهب إليه سعيد علوش كما نقل عنه في التمهيد : ينظر : ٣ ، الهامش ٧ .

(٢) السيميوطيقا والعنونة : جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٥ ، ع ٣ ، ١٩٩٧ : ١٠٦ .

(٣) عنهما ينظر : دراسات في علم المنطق عند العرب ، محمد جلوب فرحان : ١٢١ .

(٤) ينظر : في مناهج الدراسات الأدبية ، حسين الواد : ١٠٨ .

(٥) ثريا النص : مدخل لدراسة العنوان القصصي : محمود عبد الوهاب : ١٠ .

شكلياً ودلالياً بين العمل وعنوانه ^(١) . ومن هنا يبرز دور النص في الكشف عن دلالة العنوان بما يوحي بأن البنية التركيبية للعنوان هي النتيجة النهائية لتعاقد دلالة النص العامة مع فلسفة المرسل في الاختيار والتركيب . الأمر الذي يترتب عليه ضرورة مراعاة القاعدة التركيبية للعنوان في تحقيق دلاليته . فانباء العنوان بشكل ما دون غيره يمكن اعتباره دالاً مضافاً إلى دوال العنوان ويتوقف هذا الاعتبار على جدوى دخول القاعدة التركيبية - شكل العنوان - إلى مساحة التحليل الأمر الذي يترتب عليه ألا ينحصر العنوان كمصطلح في بنيته السطحية ^(٢) ، " فثمة بنية عميقة لا تنفرد بفاعليتها دوال العنوان وما تستدعيه / تتناص معه - وإنما تسهم كذلك القاعدة التركيبية التي تنتظم بحسبها تلك الدوال [أي] ان قاعدة التركيب لها محمول دلالي هي الأخرى مثلها مثل الدال تقريباً ، ومن ثم فإنها تدرج ذلك المحمول في مجال الفاعلية الدلالية لمكونات العنوان " ^(٣) . وهذا ما يؤكد التنويه على إمكانية دراسة العنوان باعتبار طوله أو قصره من ناحية الشكل ^(٤) ، وهو تنويه يؤكد - كما نزع - إمكانية توفر هاتين الصفتين - طول العنوان أو قصره - على محمولات دلالية لا يمكن التغافل عنها .

إن القاعدة التركيبية للعنوان على فقرها من حيث الدوال لا تشكل حائلاً دون امتلاك العنوان نصيته المستقلة ، بل قد يساهم فقر القاعدة المذكورة في تحفيز فعل القراءة على الصعود به إلى مستوى النص المستقل على أساس أن " نصية العنوان تنبني على هيئة مظهره اللغوي متسعة عن ظاهر دلالاته لتضم إليه ما يزدحم به فضاؤه كافة - بديل السياق - من أعمال ونصوص وخطابات " ^(٥) ولعل هذا ما يكسبه في هذه الحالة صفة (التفوق السيميائي) ^(٦) وربما كان مرد ذلك إلى تعدد الوظائف المنوطة به على صغر حجمه كما سيأتي ، والتي تحتم عليه في النهاية أن يكون " دلالة قصوى محملة بالكثير من الإيحائية والتعبيرية المكثفة " ^(٧) . وهذه

(١) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ١٦ .

(٢) م . ن : ٣٧ .

(٣) م . ن : ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) ينظر : الألسنية وتحليل النصوص الأدبية - من وحدة الجملة إلى كلية النص : حاتم الصكر ، مجلة آفاق عربية ، ٣ع ، ١٩٩٢ : ٩٥ .

(٥) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ٣٧ .

(٦) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٥٥ .

(٧) النص وأبعاده - قراءة في رواية كف مريم لعبد القادر عجيل : حميد اجماع ، مجلة البحرين الثقافية ، ٢٠ع ، ٢٠٠٩ ، ١٩٩٩ : ٣٥ .

سمة تجعله يتوفر على قدر كبير من (الإيجاز) بالمفهوم البلاغي وبنوعيه (إيجاز الحذف) و (إيجاز القصر) ^(١) .

وثمة صفة على قدر كبير من الأهمية فيما يخص بنية العنوان وهي أنه " خطاب ناقص النحوية أو لا نحوي بامتياز " ^(٢) . وهذه صفة تطبع بنيته بطابع التكتيف على مستوى الدوال من جهة والاتساع على مستوى المداليل من جهة ثانية ، إذ تعني (اللا نحوية) " عدم تكافؤ التركيب اللغوي والنتائج الدلالي عنه ، إذ يتسع هذا عن عناصر الحضور وعلاقاته ومن ثم عن حدود التركيب لتشتغل علاقات الغياب بصورة أكثر فاعلية في تأسيس ذلك الناتج " ^(٣) .

ان لا نحوية العنوان تؤسس لمتلقيه متكاً تأويلياً ويجعل من سيميائية العنوان الناتج النهائي لتلاخ لا نحويته مع فعل القراءة بحيث يبدو من الحيف - تحليلياً - إهمال أية وحدة تركيبية من الوحدات البيانية للعنوان على أساس أن " لا مبرر لاختيار (المرسل) علامة دون أخرى إلا لأنها تستجيب لغايته ، ولا يقيم بينها وبين غيرها علاقات في خطابه إلا لأنها تساهم معها في أداء الرسالة التي يبلغها الخطاب " ^(٤) وذلك مما يعطي لكل وحدة في التركيب دوراً فاعلاً في توجيه الدلالة ^(٥) .

ان لا نحوية العنوان القائمة على اختزال التركيب مقابل كثافة الدلالة المتولدة عنه يمكن اعتبارها خاصية بناء عنواني تؤسس علاقة وثيقة بين بنية العنوان وما يتوفر عليه العنوان من (شعرية) ^(٦) بما تستدعيه من تفاعل قرائي بين العنوان والمتلقي ، وحث آليات التأويل لديه لملء (الفجوة أو مسافة التوتر) ^(٧) ، واستشعار مواطن الجمال في المرسل العنوانية خاصة وأننا نتحدث عن عنوان لقصيدة يفترض أنه يتوازى جمالياً ودلالياً مع ما يعنون فإذا كان العنوان المركب يوظف تركيب الدوال لتتأسس شعرية بالطريقة التي وصفها (جاكوبسن) في فهمه للمجاز ^(٨) لتتولد بنية لغوية تكتسب شعريتها عن طريق المجاز مثلاً فإن ذلك لا يعني أن الشعرية في العنوان المركب رهينة بما يتوفر عليه التركيب من فنون بلاغية فكثير من العناوين وإن لم تتوفر على شعرية في بنيتها ، ما أن تؤخذ في ضوء علاقتها بنصها حتى تتحول العلاقة بين الاثنين

(١) ينظر : قضايا اللغة في كتب التفسير - المنهج - التأويل - الإعجاز : الهادي الجلطاوي : ٥٣٥ .

(٢) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ٤٠ .

(٣) م.ن: ١٤٩ . وللمزيد عن مصطلح ال (لا نحوية) ينظر : في الشعرية ، كمال أبو ديب : ١٣٩-١٤٥ .

(٤) أهم المدارس اللسانية : عبد القادر المهيري وآخرون : ٤٢ .

(٥) ينظر : التأويل والحقيقة ، علي حرب : ٣٣ .

(٦) ينظر : العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ٤٠ .

(٧) عن المصطلح ينظر : في الشعرية : ١٢٧ - ١٣١ .

(٨) ينظر : قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسن ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون : ٣٣

إلى فجوة قرائية أو مسافة توتر تستوقف القارئ في محاولة ملئها تأويلياً^(١) ، و عناوين كهذه تؤسس شعريتها على أساس علاقتها بنصها لا على أساس توزيع دوالها في المستوى النصي . وإذا كان ما قيل خاصاً بالعنوان المركب - دالّين فأكثر - فإن ذلك لا يخرج العنوان ذا الدال الواحد عن دائرة ما قيل ، إذ " من عجيب شأن الشعرية أنها قد تكمن طاقتها في مفردة واحدة ما أن تُتناول حتى تتحرر من حدودها وتهز سكونية سياقها محقزة عناصره لاستثمار تأويلاتها " (٢) وبناء على ذلك يمكن القول أن بنية العنوان تشف عن إمكان شعريتين ، تطبعان الأدبي منه بخاصة ، الأولى شعرية قائمة على استثمار الفنون البلاغية لإحداث ما يسميه (جان كوهن) ب (العدول أو الانزياح)^(٣) ، وهي شعرية تتمركز في المستوى النصي للعنوان - باعتباره نصاً مستقلاً - والثانية شعرية تتحدد بالفجوة التي يمكن أن تتركها العنونة في قراءة العنوان كبنية محيلة إلى نص أكبر خاصة في العناوين التي لا تحيل إلى عملها مباشرة لتترك للقراءة إمكان قيام علاقة بين الاثنتين^(٤) أي إن الشعرية في هذه الحالة هي شعرية موقع لأنها نابعة من موقع العنوان في ثنائية عنوان / نص وما يتركه التوازي الموقعي بين العنوان ونصه من فجوة أو فجوات ، وكلما جمع العنوان بين الشعريتين معاً ؛ كان عنواناً شعرياً - يخص الشعر كجنس أدبي - بامتياز ، وقد يحسن أن نذكر هنا أن العنونة في الشعر باتت تتجه إلى دخول دائرة الإبداعية بحيث يمكن القول أن ثمة توازياً دلاليّاً بين العمل وعنوانه^(٥) . ويفهم من ذلك أن العنوان في الشعر الحديث ، إذ يؤسس - غالباً - شعريته الخاصة به على المستوى النصي - باعتباره نصاً مستقلاً - فإن طبيعة الشعر فيما يخص طريقة توظيفه للدوال تؤدي إلى كبر الفجوة الحاصلة بين العنوان ونصه بحيث لا تبدو في الظاهرة أدنى علاقة بين الاثنتين ولعل هذا ما حدا ب (محمد فكري الجزار) إلى نفي وجود علاقة بين العنوان والقصيدة ، واعتبار عنونة القصيدة

(١) ينظر : السيميوطيقا والعنونة : جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٥ ، ع ٣ ، ١٩٩٧ : ٩٦ . ويقترب هذا التصور من تصور صلاح فضل لما يسميه ب (العنوان الجدير بأولوية التحليل) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٣٦ .

(٢) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ١٠١ .

(٣) ينظر : بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون : ٦ ؛ و ينظر : فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة ، عبد الصولة ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، ع ١ ، ١٩٨٧ : ٧٩ .

(٤) ينظر : فلسفة العنوان في قصص الحرب - مشروع في التأويل : عبد الوهاب محمد علي العدواني ، بحث مقدم إلى كلية التربية ، جامعة الموصل : ١ .

(٥) ينظر : العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ٦٦ .

نوعاً من التعسف المجازي الأمر الذي يوقع على القراءة عبئاً تأويلياً كبيراً في محاولة تأسيس العلاقة بينهما (١) .

وثمة خاصية جديرة بالانتفات تمس بنية العنوان وتؤثر تأثيراً واضحاً في توجيه دلالاته ، ألا هي تذييل العنوان ببنية شارحة اصطلاح على تسميتها ب (التصديرات) (٢) والتصديرية مقطع لغوي يتلبس بشكل جملة أو عبارة تتضمن إهداءً أو قولاً شارحاً ، الأمر الذي لا يمكن معه أن يكون التصدير عنصراً هامشياً وإن أغرى موقعه باعتباره كذلك (٣) وهذا ما انتبه إليه (جيرار جينيت) أثناء تعريفه (التصدير) بوصفه أنه استشهد في الحاشية ويرصد جينيت للتصدير وظيفتين (٤) :

١. وظيفة توضيحية : تتحدد هذه الوظيفة بإضاءة العنوان وتسويغه ، لاسيما العناوين المركبة تركيباً استعارياً ، ويبدو (محمد عبد المطلب) هنا على خلاف مع (جيرار جينيت) إذ يرى الأول ان الوظيفة التوضيحية سمة ، تسم العناوين ذات الدال المفرد بقوله " وحتى عندما يؤثر المبدع اختيار في إطار لدال المفرد فإنه يلحقه بمذكرة تفسيرية توسع من مساحته الصياغية والدلالية " (٥) .

٢. وظيفة بنائية : حيث يشكل التصدير بناءً على هذه الوظيفة عتبة توصل العنوان بالبناء النصي .

يفهم من ذلك ان التصدير وإن استقل بنيته عن العنوان والنص إلا أن دلالاته تبقى رهينة بما يفتحه من تعالق دلالي مع كل منهما أو مع كليهما معاً فقد يتعذر وصل التصدير بالعنوان أحياناً مما يستلزم إنصافاً مستمراً لعلاقة التصدير بالنص وعنوانه " (٦) . ومهما يكن من أمر فإنه فإنه يمكن التنصيص على أن التصدير عنصر بنائي وعتبة تؤثر في توجيه بنية العنوان ودلالاته على حد سواء . وكأن التصديرات هنا تقوم بوظيفة الهوامش من خلال وصف (هيليس ميلر) لها بالقول : " إن الهوامش هي غالباً المواضيع التي يكشف فيها المؤلف عن نفسه بطريقة ما أو بأخرى ... إن الهامش غالباً ما يزيل صعوبة ويُعرّف صدعاً أو فجوة في فكر المؤلف " (٧) .

(١) ينظر : م . ن : ٧٠ .

(٢) ينظر : أدونيس والخطاب الصوفي - البناء النصي : بلقاسم خالد ، مجلة فصول ، مج ١٦ ، ع ٢٤ ، ١٩٩٧ : ٧٧ ؛ و ينظر : مخطط البويطيقا لدى جينيت . السيميوطيقا والعنونة : جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٥ ، ع ٣٤ ، ١٩٩٧ : ١٠٤ .

(٣) أدونيس والخطاب الصوفي-البناء النصي:بلقاسم خالد، مجلة فصول ، مج ١٦ ، ع ٢٤ ، ١٩٩٧ : ٦٤ ، ٦٥ .
(٤) ينظر : م . ن : ٦٦ .

(٥) مناورات الشعرية : محمد عبد المطلب : ٧٧ ؛ و ينظر : العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : ٦٦ .

(٦) أدونيس والخطاب الصوفي-البناء النصي: بلقاسم خالد ، مجلة فصول ، مج ١٦ ، ع ٢٤ ، ١٩٩٧ : ٦٦ .

(٧) أخلاقيات القراءة : جي هيليس ، ترجمة سهيل نجم : ٢٩ .

إن استقراء مفردات المنظومة العنوانية الدرويشية في ضوء المعطيات التنظيرية الأنفة لاختيار نماذج تطبيقية يمكن التعميم في ضوءها لإعطاء تصور شامل قدر الإمكان عن سيميائية عنوان القصيدة الدرويشية من جهة بنية العنوان يجعل البحث يسلك في الاختيار والتحليل المسالك الآتية :

أولاً: استبعاد تحليل العنوانين (الحرفي) و(الفعلي) كونهما لا يشكلان ظاهرة بارزة في المنظومة العنوانية الدرويشية .

ثانياً: لذا فقد وقع الاختيار على عينة تطبيقية تتألف من خمسة نماذج يرى البحث ان في اختيارها وتحليلها مدعاة لإعطاء فكرة عن خصوصية البناء العنواني لدى محمود درويش تركيباً ودلالة . وهذه النماذج هي :

١. عنوان قصيدة (عن إنسان) .
٢. عنوان قصيدة (أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر) .
٣. عنوان قصيدة (أقبية ، أندلسية ، صحراء) .
٤. عنوان قصيدة (يكتب الراوي : يموت) .
٥. عنوان قصيدة (أهديها غزلاً) المشفوع بالتصدير (إلى أختي الصغرى وأترابها) .

نماذج تطبيقية :

١. (عن إنسان) ^(١)

ينبني هذا العنوان على قاعدة تركيبية مختزلة ؛ إذ ليس ثمة على المستوى النحوي إلا علاقة جار بمجرور . لذا فإن تركيب العنوان بهذه الصورة يؤثر تمتع الدال (إنسان) بصفة الدال المركزي في الدلالة العامة للعنوان . ويأتي الدال (عن) ليشير إلى أن ثمة دوالاً سابقة يعمد العنوان - بسبب من طبيعته اللا نحوية - إلى تغييبها ، الأمر الذي ينبني عليه أن ليس ثمة ضامن في هذه التركيبية العنوانية بالإفصاح عن دلالة الدال المركزي (إنسان) إلا في مستوى استتطاق المعطيات النصية .

إن اللغة لا تسمح بطبيعتها إلا للحدث العنواني بإمكان الانبناء على جار ومجرور ، ذلك أن حرف الجر غير قابل لغوياً أن يسبق ببياض ، إذ تفترض عليه اللغة أن يقع بين دالين يتأثر بالأول ويؤثر في توجيه نحو ودلالة الثاني . وإذا كان قد سبق ان فقر القاعدة التركيبية التي يتشكل منها العنوان تمثل ركناً أساسياً من أركان شعرية ، فإن شعرية هذا العنوان ، كما تبدو ، ترتكز على الركن المذكور ، إذ تساهم القاعدة التركيبية هنا بإغناء شعرية هذا العنوان من

(١) ديوان محمود درويش ، مج ١ ، ط ٨ : ١٢ .

خلال غياب الدال قبل حرف الجر (عن) ، الأمر الذي يستوجب الإتكاء على المعطيات النصية في استحضاره جنباً الى جنب مع محاولة الإحاطة بمدلول (إنسان) في ضوء تلك المعطيات . وقبل الشروع في استنتاج المعطيات النصية ، سنتوقف عند (السيمات) التي يمكن أن يحتويها (المكون الدلالي) للدال (إنسان) والتي يمكن توضيحها بالشكل الآتي :

انسان : [+ كائن] ، [+ حي] ، [+ حر] ، [+ له وطن] ، ... الخ

إلا أن المعطيات النصية تشير الى أن ثمة طرفاً يحاول تجريد الإنسان من جميع صفاته (سيماته) ، اذ يوضح المقطع الأول تجريده من حرته بإبقائه مربوطاً بـ (صخرة الموتى) مع ملاحظة ما تتركه دالة (رابطوا) من إحياءات :

وضعوا على فمه السلاسل

ربطوا يديه بصخرة الموتى

وقالوا : أنت قاتل (١)

ثم يوضح المقطع الثاني من القصيدة حالة الاستلاب بتجريد الذات الانسانية من أبسط متطلبات الحياة :

أخذوا طعامه (٢) ، والملابس ، والبيارق

ورموه في زنزانة الموتى ...

طردوه عن كل المرافق

أخذوا حبيبته الصغيرة

ثم قالوا : أنت لاجئ (٣)

وهكذا يتضح أن القصيدة تؤشر همماً إنسانياً كبيراً ويبدو أن هذا الهمم أكبر من أن يوصف بإسهاب . فجاءت القصيدة مختصرة ، وانبنى عنوانها على قاعدة تركيبية ضحلة يمكن اعتبارها دالاً مضافاً يؤشر منطقية قصر الكلام أمام الهموم الكبيرة بحيث ترتب أن يكون تجريد الإنسان من إنسانيته في المستوى النصي للقصيدة معادلاً لتجريده صرفياً من (أل التعريف) في العنوان . هذا ويمكن - في ضوء القراءة أعلاه - قراءة معظم العناوين الدرويشية القائمة على فقر القاعدة التركيبية كما في النماذج الآتية :

(ولاء) (١) ، (سونا) (٢) ، (الكلمة) (٣) ، (البكاء) (٤) ، (المناديل) (٥) ، (إلى ضائعة) (٦) ، (شتاء

ريتا) (٧) ، (عندما يبتعد) (٨) .

(١) م . ن : ١٢

(٢) كسر عروضي .

(٣) ديوان محمود درويش ، مج ١ ، ط ٨ : ١٢-١٣ .

٢. (أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر) (٩):

يتركب العنوان من بنيتين نحويتين ؛ الأولى مركب وصفي : (أغنية ساذجة) والثانية : شبه جملة - تتألف من الجار والمجرور : (عن الصليب) والصفة (الأحمر) المخصصة للصليب .ويؤشر انبناء العنوان بهذه الكيفية إلى :

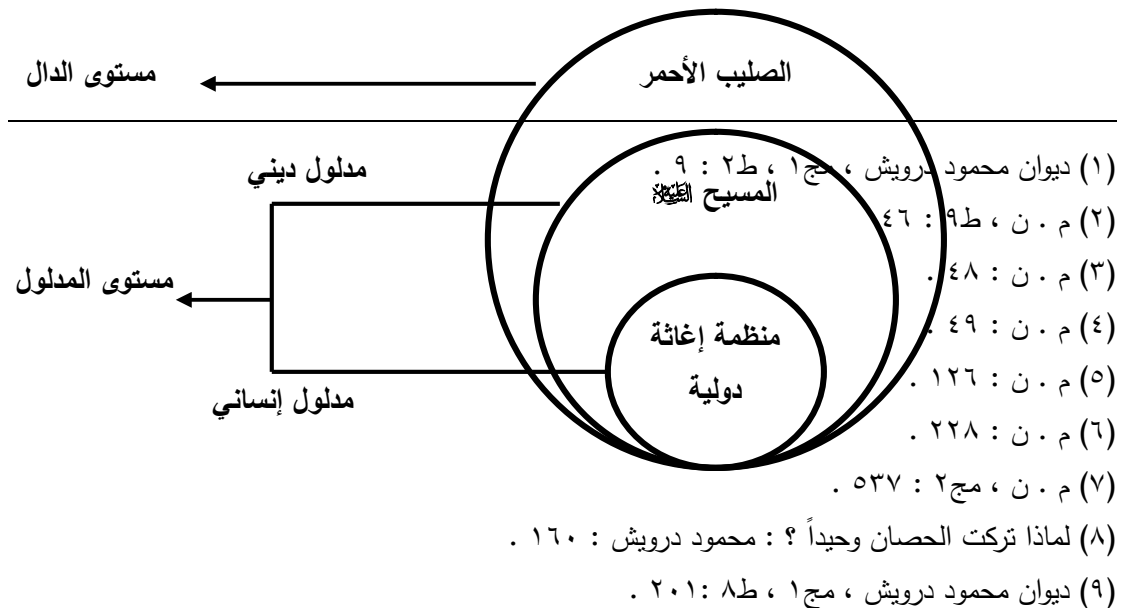
١. امتلاك المعنون لصفة غنائية من خلال الدال (أغنية) .

٢. تعيين طبيعة الراوي العنواني . إذ أن وصف الأغنية بالساذجة يشير إلى أن هذا الراوي قادر ومهتم بتقييم الأغنية .

٣. ان الدال (عن) موجه أساس من موجّهات انتاج الدلالة العنوانية . إذ تستقى من موقعه في هذه التركيبية دلالتان :

الأولى : ان الأغنية موضوعها الصليب الأحمر : (أغنية ساذجة موضوعها الصليب الأحمر).
الثانية : ان الأغنية مغناة من قبل الصليب الأحمر ، وأن الراوي العنواني ينقلها عنه بعد أن يصفها بالساذجة : (أغنية ساذجة نقلاً عن الصليب الأحمر) .

٤. ان دال (الصليب) في العنوان وهذا ينقله على مستوى الدلالة ، إلى لازمة دلالية رامزة للمسيح (عليه السلام) وهذا يعني التزام الدلالة عند حد تعريف الصليب باختصاص هذا الدال بالخطاب الديني ، إلا أن إضافة الدالة (أحمر) - وإن كانت تؤكد ذلك الاختصاص - إلا أنها تخصصه أيضاً بالخطاب الإنساني المعاصر ، كون الصليب الأحمر منظمة إغاثة دولية تسعى - كما هو معروف - إلى محاولة احتواء الأزمات والكوارث . ويمكن توضيح اشتغال دلالة (الصليب الأحمر) على مدلولي المسيح (عليه السلام) والمنظمة المغيثة بالمرتمس الآتي :



إلا أن الذي يحدث عند قراءة العنوان في ضوء قصيدته ، ان القصيدة توجه دوال العنوان على النحو الآتي :

١. حصر نوع الأغنية في حقل الغناء الشجي ، بما يشير إلى حالة تأزم تعانيها الذات المغنية:
فلماذا يا أبي نأكل غصن السنديان
ونغني خلسة شعراً شجياً^(١)

٢. إذا كانت الدالة (ساذجة) في العنوان تعين طبيعة الأغنية بوسمها بالساذجة بما تحمله هذه السمة من سطحية وبساطة في فهم الأشياء فأن قراءة العنوان في ضوء القصيدة ينفي سمة الساذجة عن طبيعة الحديث والأسئلة التي تثيرها الشخصية الراوية- الطفل- وهي أسئلة تؤشر موقفاً فكرياً رافضاً لعطايا الصليب الأحمر، ولوجوده كمنظمة. ويتجلى هذا الموقف في نبرة لا تستطیع ساذجة الأطفال الصعود إلى مستوى توظيفها بالكلام ؛ تلك هي نبرة السخرية التي يؤشرها المعطى النصي الآتي:

يا أبي نحن بخير وأمان
بين أحضان الصليب الأحمر
عندما تفرغ أكياس الطحين
يصبح البدر رغيفاً في عيوني
فلماذا يا أبي بعت زغاريدي وديني
بفتات وبجبن أصفر
في حوانيت الصليب الأحمر^(٢)

وكذلك نبرة الرفض بإثارة الأسئلة الآتية:

١. يا أبي هل غابة الزيتون تحمينا إذا جاء المطر؟^(١)

(١) ديوان محمود درويش ، مج ١ ، ط ٨ : ٢٠١ .

(٢) م . ن : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

٢. يا أبي هل تنبت الأزهار في ظل الصليب؟^(٢)

٣. آه من يسلبني طبع الحمام

تحت أعلام الصليب الأحمر^(٣)

٤. فأجبنى يا أبي: أنت أبي

أم تراني صرت ابناً للصليب الأحمر^(٤)

نخلص من ذلك العنوان في المستوى النصي - بوصفة نصاً مستقلاً - قد اشتملت بنيته على دوال يمكن وصفها بعمومية الدلالة وانفتاحها على أكثر من مدلول، إلا أن قراءة هذه البنية في ضوء القصيدة، باعتبار القصيدة إحدى الموجات المؤثرة في تركيب العنوان، تشف عن تقييد وتخصيص الدلالات العنوانية عن طريق فرز هذه الدلالات بالإبقاء على بعضها واستبعاد البعض الآخر كما يوضح الجدول الآتي:

الدال	الدلالة في المستوى النصي للعنوان	الدلالة في ضوء القصيدة
أغنية	دلالة عامة (فن الغناء)	دلالة خاصة (فن الشعر)
ساذجة	ضحالة المستوى الفكري	عمق المستوى الفكري
عن	١- حصر موضوعة الأغنية ٢- نقل موضوعة الأغنية	حصر موضوعة الأغنية تغيب الدلالة الأخرى
الصليب الأحمر	١- دلالة دينية (المسيح عليه السلام) ٢- دلالة إنسانية (منظمة الصليب الأحمر)	استبعاد الدلالة الدينية والإبقاء على نظيرتها الإنسانية

يتجلى من خلال قراءة هذا النموذج العنواني، في ضوء ما سبق، السمة اللانحوية للعنوان القائمة على اختزال التركيب مقابل كثافة الدلالات المتولدة عن هذا الاختزال. كما يتجلى دور القصيدة في توجيه حرية اختيار العنوان أو تركيبه من جهة المرسل بالنظر إلى الدلالة العامة للقصيدة مما يجعل لكل وحدة من وحدات العنوان دالاً يؤثر ويتأثر بغيره في إنتاج دلالة العنوان العامة، وهذه السمة، وإن كانت تخص العنوان الشعري بعامة، إلا أن العنوان الدرويشي قد استحوذ عليها كسمة بارزة يمكن أن تشكل متكافئاً قرانياً لمعظم عنواناته، والتي نثبت منها هنا العناوين الآتية:

(١) م. ن : ٢٠٢ .

(٢) م. ن : ٢٠٢ .

(٣) م. ن : ٢٠٣ .

(٤) م. ن : ٢٠٢ .

(وعاد.. في كفن)^(١) ، (رسالة من المنفى)^(٢) ، (الحزن والغضب)^(٣) ، (أغنية حب على الصليب)^(٤) ، (خارج من الأسطورة)^(٥) ، (جندي يحلم بالزنايق البيضاء)^(٦) ، (خريف جديد لامرأة لامرأة النار)^(٧) ، (أفي مثل هذا النشيد)^(٨) ، (الدوري كما هو.. كما هو)^(٩) .

٣. (أقبية ، أندلسية ، صحراء) (١٠):

يؤشر هذا العنوان تقنية غير معهودة في طريقة الصياغة العنوانية، وذلك بتركيب العنوان من ثلاثة دوال مفصولة بالفارزة والتي تدل على استقلال كل دالة عن التي تليها على مستوى البنية السطحية للعنوان فالدوال (أقبية) ، (أندلسية) ، (صحراء) تتحرك قرائياً بصورة تتابعية وكأنها- جراء تركيبها بهذه الصورة- يراد لها ان تكون إشارات مباشرة تحيل إلى مراجعها خاصة وان غياب الرابط النحوي عن التركيبية العنوانية لا يترك لهذه التركيبية إمكان الاعتماد على الجانب التركيبي في إنتاج دلالاتها، الأمر الذي يمكن معه كخطوة أولى اعتبار العنوان ثلاثة عناوين منعزلة ينفرد كل عنوان منها بطريقة خاصة به في إنتاج دلالاته في ضوء القصيدة المعنونة. وهذا ما توحى به الفارزتان الفاصلتان بين الدوال الثلاثة كبديل رابط جاء تعويضها واستبعاد للرابط النحوي وقبل الشروع في استنطاق القصيدة للوقوف على ما يمكن الوقوف عليه من معطيات دلالية يشف عنها التركيب العنوانية بهذه الطريقة يجدر الالتفات إلى الجانب الصرفي الذي تأسست عليه دوال العنوان:

١. أقبية: جمع تكسير .

٢. أندلسية: نسب إلى مؤنث .

٣. صحراء: اسم ممدود .

ان استنطاق القصيدة بشأن حضور دوال العنوان فيها يشير إلى:

(١) ديوان محمود درويش ، مج ١ ، ط ٨ : ١٨ .

(٢) م . ن : ٣٣ .

(٣) م . ن : ٥٧ .

(٤) م . ن : ٤٧٩ .

(٥) م . ن : ١٧٤ .

(٦) م . ن : ١٩٥ .

(٧) ديوان محمود درويش ، مج ٢ ، ط ١ : ٣٦٤ .

(٨) م . ن : ٣٤٧ .

(٩) لماذا تركت الحصان وحيداً ؟ : ١١٨ .

(١٠) ديوان محمود درويش ، مج ٢ ، ط ١ : ٨٧ .

أولاً: حضور دالة (القبو) مقرونة بالدالة (قصيدة) تارة، وبانعدام الوقت تارة أخرى، واثبات علاقة بين دالة (الحمامة) و (الأقبية). كما يحضر القبو بوصفه مكاناً لضياح الوتر:

١. فكيف سنبقى أمام القصيدة في القبو... (١)

٢. ما الساعة الآن؟

لا وقت (٢)

ما الساعة الآن؟

٣. فقد يسرقونك مثلي شهيداً

وقد يعرفون العلاقة بين الحمامة والأقبية (٣)

ثانياً: عدم حضور الدالة (أندلسية) بلفظها إلا مرة واحدة، وقد أسقطت عنها ياء النسب :

مزق شرايين قلبي القديم بأغنية العجر الذاهبين إلى الأندلس

وغن افتراقي عن الرمل والشعراء القدامى (٤)

إلا أن الدالة المذكورة قد حضرت لأكثر من مرة من خلال إحدى متعلقاتها (قرطبة) مقرونة بالتوق إلى الرحيل :

١. وصدق رحيلي القصر إلى قرطبة (٥)

٢. لماذا تريد الرحيل إلى قرطبة ؟ (٦)

٣. استطيع الذهاب إلى قرطبة (٧)

ثالثاً: أما الدالة الصحراء، فقد شكل حضورها حضوراً ملحوظاً من خلال كونها لازمة تنتهي بتكرارها مرتين في كل مقطوعة من المقطوعات السبع التي تشكلت بها القصيدة مثل:

لأنني أعرف الدرب، صحراء، صحراء (٨)

من خلال هذا العرض الموجز للمعطيات النصية التي تؤشر حضور العنوان في القصيدة يمكننا إنتاج دلالة العنوان لتسويغ بنائه بهذا الشكل - (أقبية، أندلسية، صحراء) - في ضوء تلك المعطيات كما يأتي:

(١) م . ن : ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) م . ن : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) م . ن : ٩٣ .

(٤) م . ن : ٩٣ .

(٥) م . ن : ٨٩ .

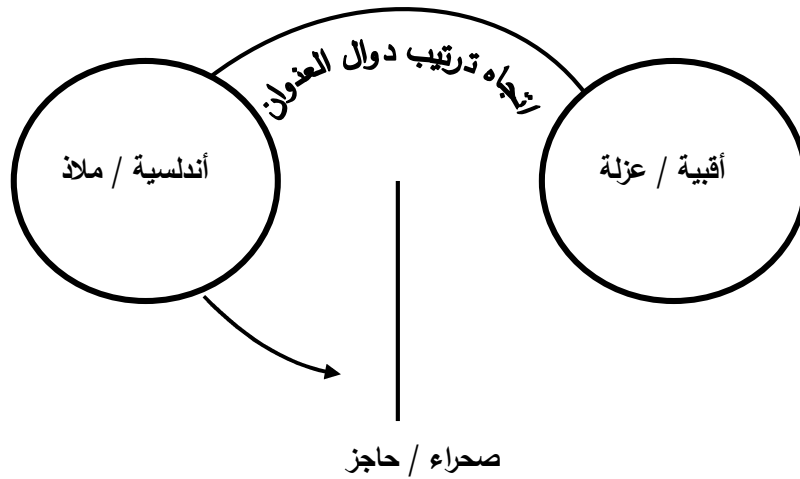
(٦) م . ن : ٩٠ .

(٧) م . ن : ٩٢ .

(٨) م . ن : ٩٠ .

الدال العنواني	دلالاته في ضوء المعطيات النصية
أقبية	عزلة مكانية تعانيتها الذات
أندلسية	ملاذ للخلاص من العزلة
صحراء	حاجز امام الذات في سعيها للوصول إلى الملاذ

وبناء على ذلك، فإن صيغة الجمع التي جاءت بها الدالة العنوانية (أقبية) تؤشر إكثار مواطن العزلة مما ينتج عنه بالتالي كبر ضغطها على الذات، في حين يأتي الدال العنواني (أندلسية) ليتلبس دلالياً في المستوى النصي بـ (قرطبة) والتي يسوغ الواقع الجغرافي نسبتها إلى الأندلس، بينما يأتي الدال (صحراء) ذو الحضور المزدوج في القصيدة ليعني كبر الهوة وثقل العبء على الذات في تطلعها إلى الرحيل إلى الأندلسية (قرطبة). ولعل ذلك ما يفسر ترتيب الدوال في العنوان أيضاً؛ فالذات التي يضرب عليها القبو عزلة تلغي لديها الزمان والمكان ستفكر أولاً في الملاذ الذي يخرجها من هذه العزلة قبل تفكيرها في الحواجز التي قد تعترضها في سعيها إليه ويمكن توضيح ذلك بالمرتمس الآتي:



وهذا ما تؤكدُه المقطوعة الآتية :

فناديت: أيتها الشرطة العسكرية!

لا استطيع الذهاب إلى قرطبة

واحنيت ظهري على عتبة

وانزلت حرיתי مثل كيس من الفحم ثم هربت إلى القبو

هل يشبه القبو أمي وأمك؟ صحراء، صحراء^(١)

وهكذا يشكل انبناء العنوان (أقبية، أندلسية، صحراء) بهذه الصيغة دالاً مضافاً إلى دوال العنوان، يتضافر معها لتحقيق وجهة نظر قرائية عن الدلالة العامة للقصيدة، وذلك باعتبار الفاصل الطباعي (الفارزة) علامة مضافة إلى علامات العنوان، كما تؤشرها دواله ويمكن توظيف علامة القاعدة التركيبية للعنوان، بما تحويه من معطيات طباعية في عدة عناوين درويشيه، نذكر منها: العنوان الايقوني(؟)^(٢) ، (ريتا...أجنبي)^(٣) ، (لا تنامي... حبيبتي)^(٤)، (آه... عبد الله)^(٥) ، (طوبى لشيء لم يصل!)^(٦) ، (خطبة الهندي الأحمر - ما قبل الأخيرة - أمام الرجل الأبيض)^(٧) .

١ . (يكتب الراوي : يموت)^(٨):

يتألف العنوان من جملتين: جملة رئيسة - فعل وفاعل ظاهر -، وجملة فرعية شارحة - فعل وضمير مستتر - ويؤشر العنوان في بنيته السطحية إسناد فعل الكتابة إلى الراوي في الجملة الأولى واختصاص الراوي بكتابة (الموت) في الجملة الثانية، وهذا ما ينم عن توفر العنوان على سمة شعرية تطبع بنيته من خلال الفجوة التي يحدثها إسناد فعل الكتابة إلى الراوي في الجملة الأولى وإمكان كتابة (الموت) كما تظهره علاقة الجملة الأولى بالجملة الثانية، فضلاً عن الانزياح النحوي الذي تركه مجيء جملة (يموت) مفعولاً به للفعل (يكتب) وكذلك الالتباس الذي تنثيره مرجعية الضمير المستتر في (يموت) والتي تؤشر احتمالين:

(١) م . ن : ٩٢ .

(٢) ديوان محمود درويش ، مج ١ ، ط ٢ : ٤٢ .

(٣) م . ن : ٢٧٢ .

(٤) م . ن : ١٨٧ .

(٥) م . ن : ٢٦٤ .

(٦) م . ن : ٥٠٤ .

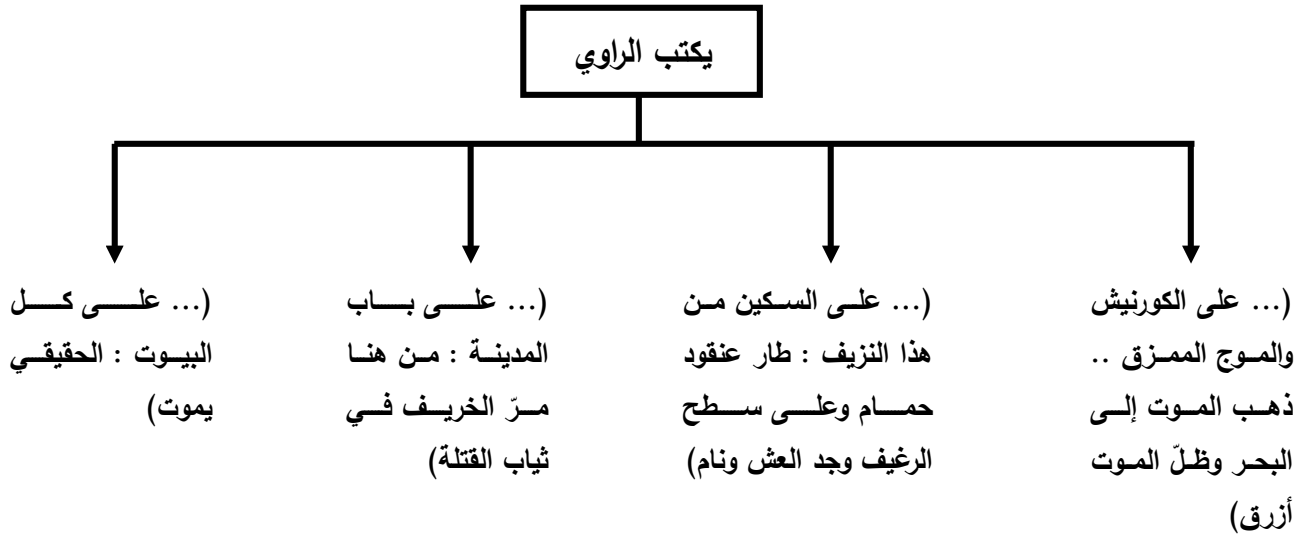
(٧) ديوان محمود درويش ، مج ٢ ، ط ١ : ٤٩٧ .

(٨) م . ن : ٢٩٣ .

١- عودة الضمير المستتر في (يموت) إلى الراوي؛ أي: يكتب الراوي أنه يموت.
 ٢- عودة هذا الضمير إلى مروى عنه غائب؛ أي: يكتب الراوي أن ثمة من يموت.
 إن شعرية العنوان هنا، والتي هي سمة بنيوية- كما سبق (١) -، وما تثيره من إشكالات لدى محاولة رصد دلالة العنوان في مستواه النصي- باعتباره نصاً مستقلاً- ناجمة عن توفره على (إيجاز الحذف)، الأمر الذي طبع بنيته ب (لا نحوية) بارزة تؤشر غني دلالاته المتولدة عن فقر دلائله، الأمر الذي يجعل من القصيدة المعنونة المتكأ التأويلي الذي يمكن استناداً إليه البت بالمدايل المحتملة التي يحتويها العنوان بوصفه مجموعة دوال، وكذلك استحضر الدلالات الغائبة.

إن ما توفره القصيدة من المعطيات التي يمكن في ضوءها تتبع دلالية العنوان؛ يمكن القراءة من استشفاف ما يأتي:

١. تعدد أماكن كتابة الراوي من خلال تكرار الجملة العنوانية الأولى (يكتب الراوي) مقرونة بأماكن الكتابة التي تتعدد، وهي بتعددتها تؤشر ضمناً على إمكان إيجابي للموت ، وكما هو موضح بالمخطط الآتي (٢) :



٢. معادلة دالة (الراوي) بدالة (الشاعر) من خلال المعطى النصي الآتي:

كل شيء في يد الراوي أو الشاعر
شعر وعناق (٣)

٣. استبعاد دالة (الراوي) واستبقاء دالة (الشاعر)، ومعادلة دالة (الموت) بدالة (الشعر) من خلال المعطى النصي الآتي:

(١) ينظر : مبحث بنية العنوان .

(٢) ينظر : ديوان محمود درويش ، مج ٢ ، ط ١ : ٢٩٣ - ٢٩٨ .

(٣) م . ن : ٢٩٧ .

والموت دفاعاً عن حصان أو عقيدة في يد الشاعر شعر وعناق^(١)

الأمر الذي يؤثر تدليل العنوان في ضوء القصيدة على كون الموت لازمة من لوازم كتابة الشعر ما دام الشعر يتبنى قضية حقيقية وعلى ذلك يصبح مدلول (الكتابة) في العنوان: (الاحترق). ولعل هذا ما يصبو للتدليل عليه المعطى النصي الآتي:
كل شيء قابل للاحتراق
في احتمالات الكتابة^(٢)

وبذا يصبح الراوي هو الشاعر الذي لا يكف عن الرواية مادام الموت بمعناه المادي لا يمتلك القدرة على أن يطوله بفعل تبنيه لقضية كتب الخلود لها وللمدافعين عنها. وفي ضوء ذلك يمكن القول: إن الجملتين اللتين أقرتهما البنية السطحية للعنوان: (يكتب الراوي أنه يموت) و (يكتب الراوي أن ثمة من يموت) تبيان محتملتين دون مفاضلة لإحداها على الأخرى بحسب ما تشير إليه المعطيات النصية في القصيدة. وهكذا تبقى دلالة الجملة العنوانية (يموت) جملة مفتوحة على عدة تأويلات لم يفلح النص في تبني إحداها، وهي بذلك تؤشر (شعرية) موقعية تؤسسها هذه الجملة في مستوى علاقتها للقصيدة، بعد أن تمكن العنوان بأكمله في مستواه النصي - بوصفه نصاً مستقلاً في تأسيس شعريته في المستوى المذكور. ويمكن قراءة عدة عناوين درويشيه أخرى في ضوء شعريتها، سواء كانت هذه الشعرية قارة في المستوى النصي للعنوان، أو في مستوى علاقتها بالقصيدة التي يعنونها، نذكر من هذه العناوين:
(حنين إلى الضوء)^(٣)، (وعود من العاصفة)^(٤)، (بين حلمي وبين اسمه كان موتي بطيئاً)^(٥)، (أسميك نرجسة حول قلبي)^(٦)، (من فضة الموت الذي لا موت فيه)^(٧)، (قال المسافر للمسافر: لن أعود كما)^(٨).

(١) ديوان محمود درويش، مج ٢، ط ١: ٢٩٧.

(٢) م. ن.:

(٣) ديوان محمود درويش، مج ١، ط ٩: ٧١.

(٤) م. ن.: ١٨١.

(٥) م. ن.: ٤٩٣.

(٦) م. ن.: مج ٢: ٢٩٩.

(٧) م. ن.: ٣٠٧.

(٨) لماذا تركت الحصان وحيداً؟ : ١١٠.

١. (أهديها غزلاً) (١):

إلى أختي الصغرى وأترابها

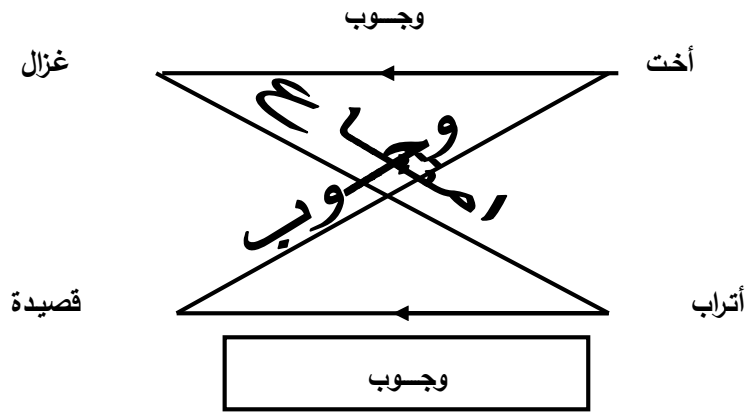
تتألف هذه التركيبية العنوانية من طرفين: الطرف الأول العنوان (أهديها غزلاً)، والطرف الثاني التصديرة (إلى أختي الصغرى وأترابها).

والعنوان يتركب نحوياً من الفعل المتعدي إلى مفعولين، وفاعله المستتر فيه (أهدي)، والمفعول به الأول الذي يمثله الضمير (ها)، والمفعول به الثاني (غزلاً)، في حين يؤشر التركيب النحوي للتصديرة التي انبثقتها نحوياً على جار ومجرور (إلى أختي)، وتأتي الدالة (الصغرى) في التصديرة كدالة واصفة للمجرور ورابطة إياه بالمعطوف (أترابها) بواو العطف، وتتخذ بنية التصديرة صيغة (الإهداء) بوساطة القرينة الدالة (إلى) وذلك يعني أن بنية الإهداء تحضر كدال في العنوان وكمدلول في التصديرة فالغزال مهدي صراحة إلى الأخت، والقصيدة مهداة إلى الأخت وأترابها.

ان النظر في بنية الإهداء في إطار علاقة العنوان بالتصدير يؤشر ما يأتي:

١- اختصاص الدالة (أخت) بإهداء (الغزال) في مستوى العنوان، واشتراكهما بإهداء القصيدة إليها مع (أترابها) في مستوى التصديرة.

٢- اختصاص الدالة (أترابها) بإهداء القصيدة دون (الغزال)، وذلك ما يمكن تمثيله كما يلي:



ومن خلال إعادة قراءة العنوان في علاقته بالتصدير في ضوء هذا المرسم يمكن القول: إن اختصاص الدالة (أخت) بعلاقتي (وجوب) قياساً على الدالة (أتراب) - علاقة وجوب واحدة - قد نتج عنه حضور الدالة (أخت) في بنيتي كل من العنوان والتصديرة، في حين اقتصر حضور الدالة (أتراب) في بنية التصديرة فقط، وهذا ما هو حاصل في مستوى القصيدة، والتي تشف عن حضور الدالة (أخت) على طول القصيدة، بحيث لا يكاد يخلو سطر شعري من أحد متعلقاتها

(١) ديوان محمود درويش، مج ١، ط ٢: ٢٧٦.

بينما يتراجع حضور متعلقات الدالة (أتراب) ترتيباً وكما إلى نهاية القصيدة، وتحديداً في الجملة الشعرية الأخيرة:

ويا سهر التفاؤل في أمانينا؛

لخضرة أعين الأطفال

ننسخ ضوء رايتنا (١)

ان النظر إلى العلاقة التي تقيمها التصديرة بكل من العنوان والقصيدة يؤثر قيام التصديرة بإضاءة مداليل الدوال التي ضمها العنوان؛ إذ عن طريق التصديرة تم حصر دلالة الدالة الإرجاعية (ها) في (أهديتها) ب (الأخت الصغرى) تحديداً، واختصاص القصيدة بالإهداء إليها وإلى أترابها معاً، إلا أن قراءة العنوان في ضوء قصيدته بإدخال القصيدة المعنونة إلى مستوى القراءة قد قام بهذه الوظائف جميعاً، إذ حدد المهدى إليه، وصرح عن علاقة الذات المعنونة (المهدية) بها، وأتى على ذكر (أتراب) إحياءً من خلال المعطيات النصية الآتية:

١- وتصرخ بي

وكل صراخها همس:

أخي يا سلمي العالي!

أريد الشمس بقوة! (٢)

٢- سأهديها

غزلاً ناعماً كجناح أغنية (٣)

٣- ويا سهر التفاؤل في أمانينا

لخضرة أعين الأطفال

ننسخ ضوء رايتنا (٤)

مما يترتب على ذلك إمكان القول : ان التصديرة هنا قد اقتضت وظيفياً على توسيع المساحة الصياغية للعنوان ، وبالتالي طبعت القصيدة بسمة (الإخوانيات) أو (القوائد المهداة). وهذه السمة تشكل ملمحاً بارزاً من ملامح العنونة عند محمود درويش ، والتي قد تكشف قراءتها عن علاقات مختلفة تقيمها التصديرة بالعناوين . وإذا كان البحث قد اقتصر على تحليل العنوان وتصديرته ، وما ترتب على ذلك التصدير من تأثير في توجيه دلالة العنوان والقصيدة معاً ، فإنه

(١) م . ن : ٢٧٨ .

(٢) م . ن : ٢٧٦ .

(٣) م . ن : ٢٧٦ .

(٤) م . ن : ٢٧٦ .

يثبت هنا نماذج يمكن قراءتها في ضوء ما سبق للكشف عن دور التصدير كعنصر بنيوي في انتاج دلالة العنوان :

١. (تحت الشبايبك العتيقة - إلى مدينة القدس وأخواتها) ^(١)
٢. (الحوار الأخير في باريس - لذكرى عز الدين قلق) ^(٢)
٣. (اللقاء الأخير في روما - مرثية لماجد أبو شرار) ^(٣)
٤. (مديح الظل العالي - قصيدة تسجيلية) ^(٤)
٥. (أوديبي - ما حاجتك للمعرفة يا أوديبي) ^(٥)
٦. (فرس للغريب - إلى شاعر عراقي) ^(٦)

(١) ديوان محمود درويش : مج ١ ، ط ٩ : ١٦٧ .

(٢) م . ن ، مج ٢ : ١١٩ .

(٣) ديوان محمود درويش : مج ٢ ، ط ١ : ١٣٣ .

(٤) م . ن : ٧ .

(٥) م . ن : ٢٨٨ .

(٦) م . ن : ٥٠٥ .

النتائج:

١. إن عملية العنونة تمتاز بحرية مطلقة في الصياغة ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار الجانب الدلالي للعنوان في ضوء نصه .
٢. إن حرية الاختيار والتركيب في الصياغة العنوانية مقيدة من الناحية الدلالية ، بدلالة النص العامة .
٣. إن العنوان كبنية لا بد له من مراعاة دلالة النص المعنون خاصة وأنه - أي العنوان - يراد له ان يؤلف على مستوى التعبير مقطوعاً لغوياً يعلو النص تتحكم به قواعد سيميائية تعمل على بلورة موضوعته. وتحديد رؤيتها وترميز دلالاتها .
٤. إن للنص دوراً فاعلاً في توجيه صياغة العنوان وتشكله انطلاقاً من أن ثمة توازياً شكلياً ودلالياً بين العمل وعنوانه
٥. إن البنية التركيبية للعنوان هي النتيجة النهائية لتعاقد دلالة النص العامة مع فلسفة المرسل في الاختيار والتركيب.
٦. إن قاعدة التركيب لها محمول دلالي هي الأخرى مثلها مثل الدال تقريباً ، ومن ثم فإنها تدرج ذلك المحمول في مجال الفاعلية الدلالية لمكونات العنوان.
٧. إن القاعدة التركيبية للعنوان على فقرها من حيث الدوال لا تشكل حائلاً دون امتلاك العنوان نصيته المستقلة ، بل قد يساهم فقر القاعدة المذكورة في تحفيز فعل القراءة على الصعود به إلى مستوى النص المستقل.
٨. إن لا نحوية العنوان تؤسس لمثاقه متكاً تأويلياً ويجعل من سيميائية العنوان الناتج النهائي لتلاقح لا نحويته مع فعل القراءة بحيث يبدو من الحيف - تحليلياً - إهمال أية وحدة تركيبية من الوحدات البيانية للعنوان.
٩. إن التصدير عنصر بنائي وعتبة تؤثر في توجيه بنية العنوان ودلالاته على حد سواء.

المصادر والمراجع:

١. ديوان محمود درويش : م ١ ، دار العودة بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧١
٢. ديوان محمود درويش: م ١ ، دار العودة ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٨١
٣. ديوان محمود درويش: م ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤
٤. لماذا تركت الحصان وحيدا ، مطبوعات وزارة الثقافة ، دار الفنون للطباعة والنشر ، القدس ، غزة ، طبعة خاصة ، ١٩٩٥

الكتب العربية والمترجمة:

١. أخلاقيات القراءة : جي هيلز ميل: جار ، ت . سهير نجم ، دار الكنوز الادبية ، بيروت ، ١٩٩٧
٢. اهم المدارس اللسانية : عبد القادر النهيري وآخرون ، منشورات المعهد القومي للعلوم والتربية، بلقدير ، تونس ، ١٩٩٠
٣. البنى المولدة في الشعر الجاهلي : كمال ابو ديب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٨
٤. بنية اللغة الشعرية: جان كوهن ، ت . محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٦
٥. التأويل والحقيقة : قراءة تأويلية في الثقافة العربية ، علي حرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥
٦. ثريا النص . مدخل لدراسة العنوان القصصي : محمود عبد الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٥
٧. دراسات في علم المنطق عند العرب : محمد جلوب فرحان ، منشورات مكتبة بسام العراق ، الموصل ، ١٩٨٧
٨. العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي : محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨
٩. في الشعرية : كمال ابو ديب ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٣
١٠. في النقد الأدبي الحديث . منطلقات وتطبيقات : فائق مصطفى ، منشورات جامعة الموصل ، ١٩٨٩
١١. قضايا الشعرية : رومان ياكوبسن ، ت . محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٨

١٢. قايا اللغة في كتب التفسير . المنهج التاويل الاعجاز : الهادي الجطلاوي ، منشورات كلية الآداب بسوسة ، تونس ، ١٩٩٨
١٣. المذاهب النقدية . دراسة وتطبيق : عمر محمد الطالب ، دار الكتب جامعة الموصل ، ١٩٩٣
١٤. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة : سعيد علوش ، عرض وتقديم وترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوش بريس ، الدار البيضاء ، د. ت
١٥. مناورات الشعرية : محمد عبد المطلب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٩٩
١٦. نظرية البنائية في النقد الادبي : صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨

البحوث والمقالات :

١. أدونيس والخطاب الصوفي : بلقاسم خالد ، فصول ، م ١٦ ، ع ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧
٢. الالسنية وتحليل النصوص الادبية . من وحدة الجملة إلى كلية النص : حاتم الصكر ، آفاق عربية ، ع٣ ، ١٩٩٢ .
٣. السيميوطيقا والعنونة : جميل حمداوي ، عالم الفكر ، م ٢٥ ، ع ٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت ، ١٩٩٧
٤. شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريق : محمد الهادي المطوي ، عالم الفكر ، م ٢٨ ، ع ١ ، الكويت ، ١٩٩٩
٥. النص وابعاد قراءة في رواية كف مريم لعبد القادر عقيل : حمي اجماع ، البحرين الثقافية، ع٢٠ ، البحرين ١٩٩٩